

أثر العوامل الجغرافية في ظهور الصناعات الأساسية وتطورها في مدينة البصرة في العصر الإسلامي

المدرس الدكتور

إبراهيم علي العيسوي

جامعة البصرة - كلية التربية

للبنات

المقدمة:-

تعد مدينة البصرة أول مدينة عربية إسلامية تؤسس خارج حدود شبه الجزيرة العربية أسسها القائد العربي عتبة بن غزوان سنة (١٤هـ / ٦٣٦م) قد أدت دوراً كبيراً في التاريخ العربي الإسلامي إذ إنها كانت تمثل مركزاً عسكرياً خلال الفتوحات العربية الإسلامية في النصف الأول من القرن الأول الهجري تحولت بعد ذلك إلى منطقة سادت فيها مظاهر التمدن نتيجة لإستقرار هذه الفتوحات وكثرة الغنائم التي حصلت عليها المدينة، فضلاً عن زراعة الأراضي بالعديد من المحاصيل الزراعية مثل أشجار النخيل التي وفرت المواد الأولية لبعض الصناعات، وبذلك استقطبت الكثير من السكان من شبه الجزيرة العربية وإقليم فارس مارسوا فيها أنواع مختلفة من النشاطات الاقتصادية ومنها الصناعات التي تنوعت وتوزعت على معظم أجزاء المدينة وقد كان لها الأثر الكبير في التنمية الاقتصادية ليس في المدينة فحسب بل على مستوى العراق وذلك بعد انتقال العديد من الصناعات منها إلى مدن العراق الأخرى كصناعة الخزف التي انتقلت إلى مدينة سامراء.

إن ظهور الصناعات في مدينة البصرة جاء بفضل ملائمة الخصائص الجغرافية الطبيعية والبشرية في المدينة وعليه جاء البحث ليسلط الضوء على دور هذه العوامل في نشأة الصناعات وتطورها وتوزيعها الجغرافي في المدينة خلال العصر الإسلامي.

اعتمد الباحث على المصادر الجغرافية والتاريخية التي تناولت موضوع البحث وتم إعداد الخرائط التي اهتمت بتوثيق المعلومات ذات العلاقة بالموقع الجغرافي للمدينة والتوزيع الجغرافي لكل من الأنهار والأسواق التي كان لها أثر واضح في تطور الصناعات في المدينة فضلاً عن التوزيع الجغرافي لأبرز الصناعات فيها.

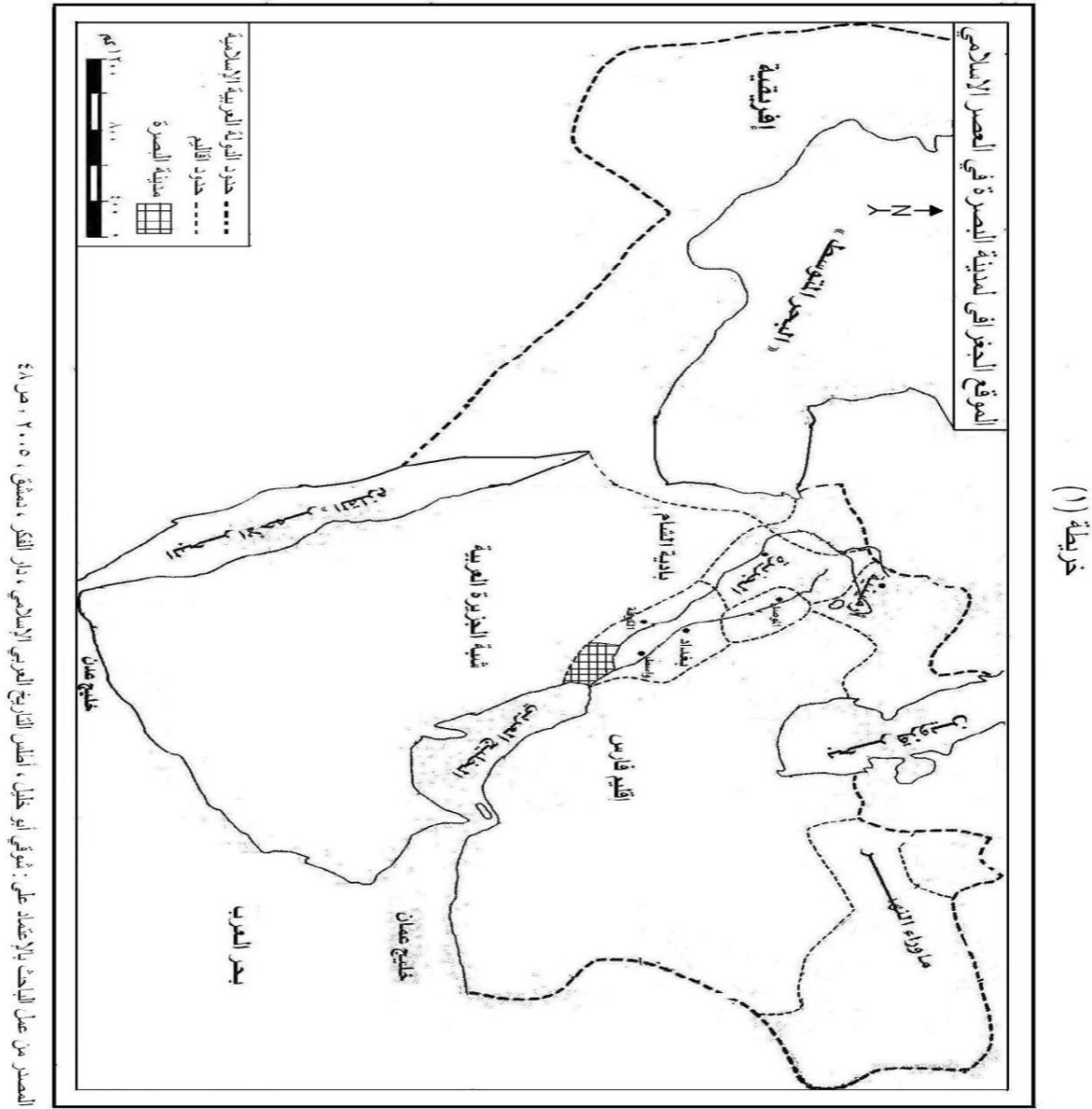
العوامل الجغرافية المؤثرة في ظهور الصناعات:

أدت العوامل الجغرافية دوراً كبيراً في نشأة العديد من الصناعات في مدينة البصرة وتطورها في العصر الإسلامي التي تمثلت بما يأتي:

أولاً: العوامل الجغرافية الطبيعية

١. الموقع الجغرافي:

يمكن عد الموقع الجغرافي في مقدمة العوامل الجغرافية التي أدت إلى نشأة العديد من الصناعات في مدينة البصرة خاصة الأساسية منها حيث يتضح من خريطة (١) إن هذه المدينة تقع شمال غرب شبه الجزيرة العربية، يحدها نهر دجلة العواء (شط العرب) وإقليم فارس من الشرق والخليج العربي من جهة الجنوب الشرقي.



إن موقع المدينة على رأس الخليج العربي الذي يعد المنفذ البحري الوحيد لها بشكل خاص والعراق بشكل عام

جعلها ترتبط بالمحيط الهندي ودول شرق إفريقيا وهذا ما أدى إلى تطور الصناعات فيها من خلال سهولة عمليات

استيراد المواد الأولية التي دخلت في هذه الصناعات وتصدير منتجات صناعات المدينة وفي هذا الصدد أشار المقدسي

إلى أهمية هذا الموقع بقوله (مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين) ونتيجة لقوة العلاقات الاقتصادية وكثرة وصول السفن الهندية إلى مدينة البصرة فقد أطلق عليها بـ (أرض الهند) ^(١).

٢. السطح:

يتصف سطح مدينة البصرة بإنبسطة نتيجة لعدم وجود تباين في أشكاله إذ إن صفة الانبساط كانت من الشروط التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عند اختياره موضع المدينة إذ أشار إلى ذلك بقوله ((إن بيني وبينكم دجلة لا حاجة لي في شيء بيني وبينه دجلة تتخذوه مصراً)) ^(٢).

إن سطح مدينة البصرة يمتاز بإنحدارة العام من الشمال إلى الجنوب باتجاه الخليج العربي وهذا ما أدى إلى استخدام الأنهار في عملية نقل السلع والمنتجات المصنعة في المدينة وإن انتشار الأودية غرب المدينة منها وادي الباطن الذي كان يمثل طريق القوافل التجارية بينها وبين شبه الجزيرة العربية سهل عملية إيصال المواد الأولية إلى البصرة ومن ثم ظهور الصناعات أهمها صناعة النسيج التي كانت تعتمد على الصوف المستورد من هذه المناطق.

٣. الأنهار:

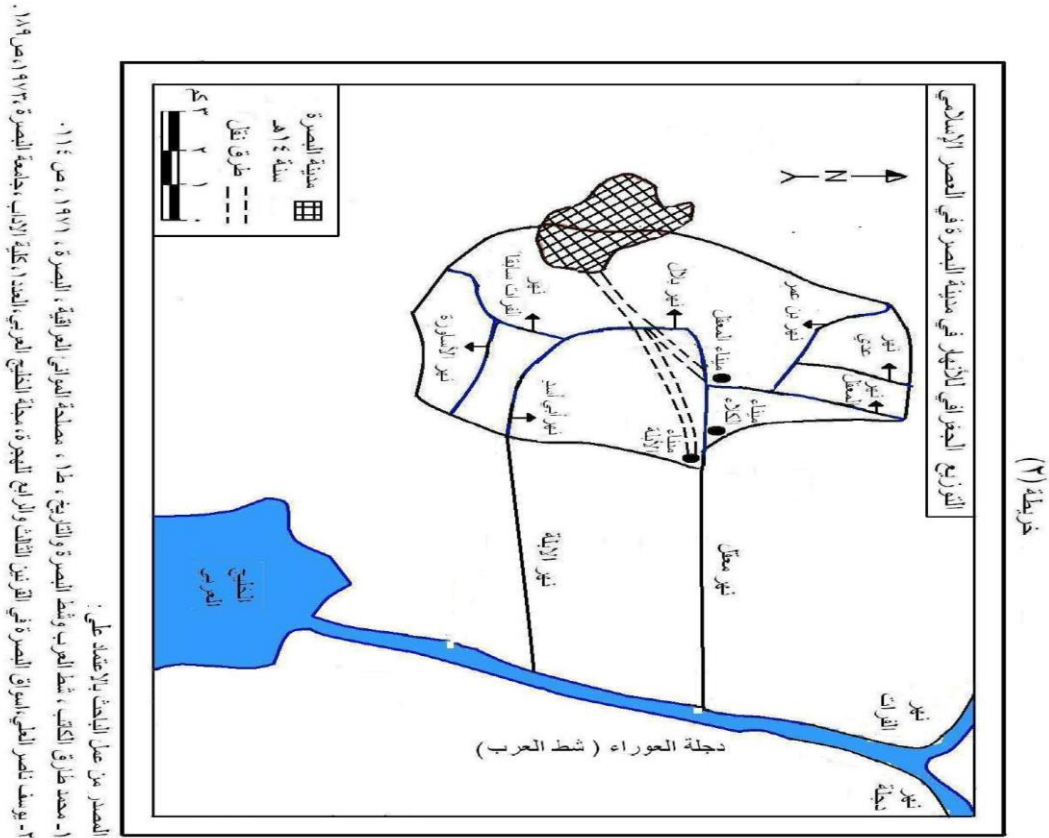
كان للأنهار دوراً كبيراً في ظهور الصناعات وتطورها في مدينة البصرة إذ إنها عملت على تحويل الأراضي المالحة إلى أراضي استثمرت فيما بعد بزراعة أشجار النخيل التي دخلت منتجاتها في صناعة الدبس فضلاً عن زراعة محصول القطن الذي قامت عليه صناعة المنسوجات القطنية ^(٣).

استخدمت أنهار مدينة البصرة في عملية النقل الداخلي باتجاه بغداد والمناطق المجاورة من جهة، والنقل الخارجي عن طريق الخليج العربي الذي يصب فيه نهر دجلة العوراء من جهة أخرى، وبذلك فإنها أسهمت بشكل فعال في

عمليات الاستيراد والتصدير للسلع والمنتجات المحلية الأمر الذي أدى إلى التنمية الصناعية في المدينة خاصة بعد استقرار الفتوحات العربية الإسلامية وهذه الأنهار هي نهر عدي ونهر ابن عمر التي تلتقي عند نهر معقل وتصب في ميناء الكلاء والأبلة اللذان يرتبطان بنهر دجلة العوراء الذي يصب في الخليج العربي ويتضح من خريطة (٢).

قامت الأنهار بنقل المواد الأولية من الأجزاء الشمالية إلى مركز المدينة والموانئ الرئيسة فيها مما أدى إلى تطوير الصناعات التي تقع بالقرب منها فضلاً عن ذلك فإن نهر بلال الذي يربط الأنهار المشار إليها أعلاه وميناء الكلاء مع كل من ميناء الأبلة ونهر الأساوره في الجنوب وجنوب شرق المدينة وهذا ما أدى إلى تفعيل دور النقل في الاستيراد والتصدير الداخلي والخارجي على السواء.

أشارت الروايات التاريخية إلى أن السفن التجارية كانت تجري في نهر أبي أسد الذي يتفرع من نهر دجلة العوراء في الجزء الجنوبي منه الواقع شمال الخليج العربي^(٤) الأمر الذي أدى إلى نشأة صناعات عدة بالقرب من الأنهار مثل صناعة السفن والمنسوجات.



٤ . المواد الأولية:

اعتمدت الصناعات في مدينة البصرة في العصر الإسلامي على العديد من المواد الأولية منها صناعة المنسوجات التي اعتمدت على منتجات الثروة الحيوانية التي كانت تحصل عليها المدينة من المنطقة الصحراوية (الزبير حالياً) المتمثلة بالصوف والوبر والجلود وفي هذا الصدد أشارت الروايات التاريخية إلى أن القبائل المجاورة اتخذت من المربد الذي يقع غرب المدينة سوقاً رئيساً لاستيراد هذا النوع من المواد الخام^(٥) الذي دخل كمادة أساسية في صناعة المنسوجات ومختلف أنواع الملابس التي اشتهرت مدينة البصرة بصناعتها في العصر الإسلامي، فضلاً عن الأخشاب التي كانت تستوردها المدينة من الهند والجزر المجاورة لها^(٦) التي قامت عليها صناعة السفن فضلاً عن الحرير الذي دخل

في صناعة الملابس لجودته العالية^(٧)، وقامت صناعات اعتمدت على المواد الخام المحلية مثل صناعة الحلي والمجوهرات التي اعتمدت على اللؤلؤ المستخرج من الخليج العربي^(٨).

ثانياً- العوامل الجغرافية البشرية:

١. الأيدي العاملة:

إن للأيدي العاملة في مدينة البصرة أثراً واضحاً في تطوير الصناعات إذ أنها تعد الأساس الذي اعتمدت عليه الصناعات في البصرة إذ أشارت الروايات التاريخية إلى أنها شهدت في النصف الأول من القرن الأول للهجرة تطورات اقتصادية كبيرة تمثلت في زيادة الواردات والغنائم التي حصلت عليها من الفتوحات العربية وهذا مما أدى إلى استقطاب العديد من الأيدي العاملة العربية وتحديدًا من شبه الجزيرة العربية مثل قبائل بني تميم وغير العربية كالأساورة والزط والسيابجه والأصفهانيين والأندغيات والزنج الذين زاولوا العديد من الصناعات في المدينة منها صناعة المنسوجات والصناعات الخشبية^(٩).

إن أغلب الأيدي العاملة امتازت بمهارتها خاصة أولئك الذين جاءوا من المناطق المجاورة للمدينة كما كان للنساء دور كبير في بعض الصناعات في مدينة البصرة خاصة صناعة المنسوجات التي امتازت بشهرتها الواسعة.

٢. النقل:

أدى النقل دوراً مهماً في تطوير الصناعات في مدينة البصرة حيث تنتشر فيها شبكة من الطرق الداخلية إذ يتضح من الخريطة (٣) إن سوق المريد يرتبط بمركز المدينة عن طريق سكة المريد ويميناء الكلاء عن طريق سكة قريش كما أن سكة بني سمرة تربط مركز المدينة المتمثل بسوق باب الجامع بالسوق الكبير الذي يرتبط بالخليج العربي عن

طريق ميناء الكلاء وعلى هذا الأساس كانت تتم عمليات تصدير المنتجات الصناعية إلى بلدان العالم الخارجي خاصة الهند والصين وبهذه الطرق كانت المدينة تحصل على المواد الخام الداخلة في العديد من الصناعات.

٣. سياسة الدولة:

إن لسياسة الدولة العربية الإسلامية أثراً واضحاً في تطوير الصناعات في مدينة البصرة ففي زمن الخلفاء الراشدين (الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-) والأمويين كانت الأموال التي تجبي من الأراضي الزراعية في مدينة البصرة توزع على المقاتلين العرب الذين استوطنوا فيها الأمر الذي ضمن لكل منهم مدخولاً سنوياً من المال الذي أمن لهم المعيشة اللائقة وزاد من نشاط الحياة الاقتصادية وحركة الأسواق لتأمين حاجاتهم الأساسية فضلاً عن حاجاتهم للأسلحة، وإن هذا الإجراء أدى إلى زيادة ثروات عدد غير قليل من سكان مدينة البصرة ومن ثم زيادة الطلب على السلع الكمالية وكان من نتيجة ذلك ظهور وتطور العديد من الصناعات في المدينة كصناعة المنسوجات والحلى والمجوهرات (١٠).

أدت الأسواق دوراً كبيراً في تطوير النشاط الصناعي لمدينة البصرة إذ إنها تمثل مركزاً للبيع والشراء وعقد الصفقات التجارية الصناعية وقد اشتهرت بالعديد من الأسواق أبرزها ما يأتي:

١. سوق المربد:

يحتل سوق المربد الجزء الجنوبي الغربي لمدينة البصرة خريطة (٣) ويعد من الأسواق المعروفة فيها برز دوره التجاري في المدة من (١٧ - ٢٥ هـ)^(١٣) حيث كانت تباع فيه منتجات صناعة المنسوجات كالملابس المتمثلة بـ (الخز والبز والفوط والملاحف والريط) ويوجد فيه سوق البزازين الذي يعد مصنعاً للنسيج وتباع فيه الأواني المنزلية كالأباريق والغضائر والسكر وغيرها..، ظهرت في سوق المربد بعض الأسواق المتخصصة كسوق الدباغيين والجلود والعلطور كما تباع فيه التوابل والأدوية^(١٤).

٢. السوق الكبير:

يقع هذا السوق على نهر بلال في الموضع الذي يلتقي فيه نهر بن عمر بنهر المعقل خريطة (٣) لذا توسع بشكل كبير لوقوعه في نهاية الطريق التجاري بين بغداد والبصرة ويعد مركزاً للصيرفة وعليه ساهم بشكل ملحوظ في تنمية الصناعات في المدينة من خلال دعم الصناعيين بالأموال ونتيجة لموقعه على الأنهار وارتباطه بالخليج العربي كانت تصدر معظم السلع والمنتجات التي تنتجها البصرة على طريقه أهمها التمور ومنتجات صناعة المنسوجات والزجاج إلى الصين والهند وشرق إفريقيا.

٣. سوق الكلاء:

يقع هذا السوق بالقرب من ميناء الأبله خريطة (٣) ويعد من الأسواق المهمة التي ساهمت في تطوير الصناعات في مدينة البصرة من خلال دوره الكبير في عمليات إستيراد المواد الأولية التي كانت تدخل في الصناعات

كالأخشاب المستوردة من الهند وتصدير منتجات صناعات المدينة إلى الخارج، إذ أن هذا السوق عبارة عن مرفأ للسفن فضلاً ارتباطه بمركز المدينة عن طريق سكة قريش وبذلك فقد أصبح المصدر الرئيس لمنتجات المدينة إلى بلدان الشرق الأقصى وشرق أفريقيا^(١٥).

ظهرت في سوق الكلاء مجموعة من الأسواق المتخصصة مثل سوق التمور الذي يعد السوق الرئيس لتجارة المدينة مع الأقاليم الخارجية، وسوق القيارين الذي تخصص ببيع مادة القير التي كانت تستخدم في طلاء الأحواض والصهاريج وفي بناء السفن.

٤. سوق باب الجامع:

يقع هذا السوق في مركز المدينة بالقرب من نهر بلال ويرتبط بميناء الكلاء عن طريق سكة قريش خريطة (٣)، يحتل أهم شوارع المدينة لذلك ظهرت فيه العديد من الأسواق المتخصصة كان أشهرها سوق الصيارفة والصاغة كما ظهر فيه سوق الدقيق الذي كان يتعامل مع إقليم شرق إفريقيا^(١٦).

الصناعات الأساسية في مدينة البصرة وتوزيعها الجغرافي:

١. صناعة الأسلحة:

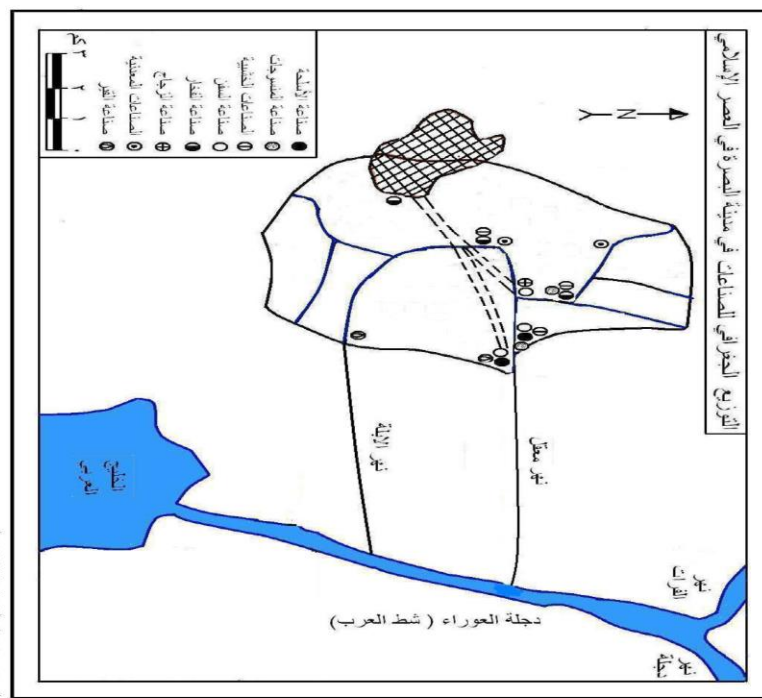
بالرغم من أن مدينة البصرة كانت تستورد بعض الأسلحة من المناطق الأخرى فإنها اشتهرت بهذا النوع من الصناعات وذلك نتيجة لزيادة الطلب عليها منذ السنوات الأولى من الفتح العربي الإسلامي يأتي في مقدمتها صناعة الرماح مثل الرماح (الردينية والسمهرية) اللذان يصنعان من الخيزران المستورد من الهند فضلاً عن النبال التي كانت تصنع من أخشاب الأشجار البرية التي تنبت في شبه الجزيرة العربية والأقواس والسهام التي كانت تعتمد على الأخشاب وسيقان الأشجار التي تستوردها المدينة من شمال العراق^(١٧).

اشتهرت مدينة البصرة بصناعة السيوف التي ظهرت في بداية القرن الأول الهجري وامتازت بأنها سيوف صلبة وعريضة وكانت تصدر إلى بلاد الشام^(١٨) والمناطق الأخرى لزيادة الطلب عليها كونها من الأسلحة الرئيسة التي اعتمد عليها العرب في الفتوحات العربية.

ظهرت صناعة الدروع في مدينة البصرة وهي أما أن تكون عبارة عن صفائح من حديد يطلق عليها (لامه) أو أن تكون مصنوعة من زرد الحديد يطلق عليها (الزرد) فضلاً عن صناعة الأسلحة الفردية التي اشتهرت فيها المدينة منها صناعة الطبر والفأس والخنجر^(١٩) وكانت هذه الصناعات تعتمد على الحديد المستورد من الهند وأذربيجان وأرمينيا ولبنان التي دخلت ضمن حضيرة الدولة العربية الإسلامية^(٢٠).

يتضح من خريطة (٤) إن صناعة الأسلحة كانت تتركز في الموانئ كميناء الأبله وميناء الكلاء نتيجة اعتمادها على الأخشاب والحديد المستورد من المناطق الأخرى عن طريق السفن.

مدينة البصرة في العصر الإسلامي



٢. صناعة المنسوجات:

ظهرت صناعة المنسوجات التي اشتهرت فيها مدينة البصرة بإصناف عدة منها الخز والبز (*) والملابس والقوط ودخل كثير منها في عمليات التطريز والنفش بالذهب والفضة والمعادن النفيسة (٢١) وأصبح إنتاج الأقمشة الجيدة مفخرة لسكان البصرة حيث أشارت الروايات التاريخية إلى أن عدد طرازي البصرة بلغ (٢٠ ألف) طراز (٢٢) وفي ذلك قال المقدسي بتعجب (ألم تسمع بخز البصرة وبزها؟) (٢٣) وكذلك السيجان الذي يصنع عادة من الصوف وهي طيالة ضخمة غلاظ ويدعى الصنف الخشن منها (البت) وقد صنع في مدينة البصرة الحلل النجرانية بعد استقرار النجرانيين فيها.

اشتهرت البصرة في العصر الإسلامي بالمنسوجات الحريرية التي دخلت بلدان العالم الإسلامي في حقبة زمنية متأخرة قبل الفتح العربي وانتقلت من الصين التي احتكرتها لقرون عدة إلى مدينة البصرة عن طريق دودة القز وأطلق

العرب على الحرير قبل أن يتم غزله (ألفز) وسموه بعد الغزل (الأبريسم) فضلاً عن ذلك إشتهرت المدينة بصناعة الملابس المخيطة الجاهزة التي كانت تصدر إلى بقية المدن والأقاليم الإسلامية مثل الأكسية (***) والمطارف (****) والريط (****) وكانت المطارف من المنسوجات الثمينة تطرز من خيوط الذهب حيث أصبحت من جملة الملابس التي تدخل ضمن الخلع التي يهديها الخليفة للشخصيات المهمة وكبار رجال الدولة وغالباً ما كانت تنتج من الخز في العصر العباسي حيث أصبحت من الملابس التي تطرز بأبيات من الشعر (٢٤) أما في الأبله فظهرت صناعة الأنسجة الكتانية الرقيقة المطرزة كما اشتهرت بصنع العمائم (٢٥).

ظهرت في مدينة البصرة صناعة الحياكة في القرن الأول الهجري إذ إن هذه الصناعة تعد من أقدم الصناعات اليدوية إذ إنها تنسب إلى نبي الله إدریس -عليه السلام- (٢٦) وهي على نوعين، الأول يشمل ملابس الناس بأنواعها المختلفة (كالدراء والملاءة والملحظة والطيلسان) والنوع الثاني تزيين المساكن والدور كالستائر التي تعلق على الحيطان وتسمى (الأنماط) والبسط التي تفرش على أرضية المنزل (٢٧). هناك صناعة لها علاقة بصناعة المنسوجات وهي صناعة الخيام التي كان ينسج قسم منها من صوف الأغنام أطلقوا عليها (الخباء) في حين أطلقوا على الخيام التي تصنع من شعر الماعز (الفسطاط) والخيام التي كانوا يصنعونها من نسيج القطن (السرداق) (٢٨).

أما صناعة الحصر القريبة من صناعة المنسوجات فقد اعتمدت على القصب والحلفاء والبردي وخصوص النخيل التي كانت متوفرة في المدينة وقد وضع عمال هذه الصناعة نقوشاً زاهية وجميلة على إنتاجها (٢٩).

يتضح من خريطة (٤) إن هذه الصناعات تحتل موقعاً جغرافياً مهماً إذ كانت تتمركز حول ميناء الكلاء والسوق الكبير على نهر المعقل وذلك لحاجتها إلى المياه الوفيرة من جهة ولتصدير منتجاتها إلى الأقاليم من جهة أخرى.

٣. الصناعات الخشبية:

تخصصت مدينة البصرة بالعديد من الصناعات الخشبية أهمها صناعة الكراسي والمناضد التي تعتمد على الأخشاب المستوردة من الهند، والأبواب والسقوف الخشبية التي تعتمد على جذوع النخيل المتوفرة في مدينة البصرة كما دخلت أخشاب الساج والعاج في صناعة البيوت والأخشاب اللينة في صناعة الأثاث والقوارب^(٣٠) لكثرة هذا النوع من الأخشاب في المدينة إذ أشار أبو بكر الهذلي البصري إلى ذلك مفتخراً على أحد أبناء مدينة الكوفة بقوله (نحن أكثر ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً)^(٣١).

يتضح من الخريطة (٤) أن هذه الصناعة تتركز في معظم أسواق مدينة البصرة منها السوق الكبير وسوق

الكلاء وسوق باب الجامع.

٤. صناعة السفن:

تعد صناعة السفن من أهم الصناعات المحلية التي أدت دوراً كبيراً في التنمية الاقتصادية في البصرة، ظهرت قبل الإسلام عن طريق التجار والصناع الهنود إذ إن سفن الهند التجارية كانت تصل إلى الخليج العربي ومن ثم إلى نهر دجلة حتى المدائن وتقوم المدينة بإستيراد أخشاب البلوط والجوز والنارجيل والساج من إقليم المحيط الهندي والأقاليم المجاورة التي تعد من الأخشاب الرئيسة لصناعة السفن^(٣٢).

تصنع السفن في مدينة البصرة بألواح من أخشاب (الساج) وكانت هذه الألواح تثقب ثقوباً صغيرة وتشد بعضها إلى بعض على جانبي الهيكل بواسطة حبال مجدولة من شعر جوز الهند (النارجيل) وكانت هذه الأحزام تدرس بكوابيل من الخشب الدقيق عوضاً عن المسامير^(٣٣) وامتازت السفن المصنوعة في ميناء الأبله بكبر حجمها وارتفاعها وتعدد أنواعها ومنها:

(١) البغلة: التي تعد أكبر أنواع المراكب التجارية حيث تبلغ حمولتها (٢٠٠٠) كيس تمر.

(٢) اليوم: كانت تستعمل لنقل السلع التجارية وتبلغ حمولتها (١٢٠٠) كيس تمر.

فضلاً عن صناعة سفن أخرى مثل شوكي والجاكر والأجفان والترانكي وغيرها وهناك أنواع من المراكب الصغيرة مثل (الطيارات، الحديدات، الزبازب) وكانت هذه السفن مخصصة للسلطين والأمراء.

هناك أنواع أخرى من السفن تصنع في مدينة البصرة مثل (السبوق أو السنبوق) التي كانت تستخدم في صيد اللؤلؤ ولكل سفينة قبطان يدعى (رئيساً أو ناخوذاً)، وملاحاً يدعى (إدارياً) ورئيساً للبحارة يدعى (إشتياماً) ولا بد أن يكون لهؤلاء خبرة كافية ومران على السفر في البحار فضلاً عن ذلك فإن لكل سفينة عدد من الجذافين والعمال والصيادين الذين يتمتعون بقوة بدنية تحتمل مصاعب السفر والملاحة^(٣٤) وكانت السفن تزود بعدد من الحرس لصد ما تتعرض له من هجمات القراصنة ولصوص البحر واستعملت القوارب للملاحة في أنهار مدينة البصرة لأغراض تجارية وعسكرية منها نقل التمر إلى الشرق الأقصى وشرق إفريقيا^(٣٥).

يتضح من خريطة (٤) إن صناعة السفن تتركز بالقرب من الموانئ في مدينة البصرة كميناء المعقل والأبلة والكلاء وذلك لسهولة استيراد الأخشاب التي كانت تعتمد عليها هذه الصناعة.

٥. صناعة الفخار:

عرفت هذه الصناعة في المدينة منذ زمن بعيد إذ صنع البصريون الجرار الكبيرة والصغيرة للماء والنبذ وكذلك الأواني والكؤوس والحباب بأشكال وأحجام متعددة وبنقوش جميلة أو خالية من النقوش.

أشارت الروايات التاريخية إلى أن الخزف البصري ذي الألوان الزاهية يعد من أبرز أنواع الصناعات الفخارية في مدينة البصرة حيث امتاز بجمال الصنعة لاستعمال الألوان والنقوش وبأشكال وأحجام متنوعة لذلك انتقلت هذه الصناعة من مدينة البصرة إلى العراق والأقاليم المجاورة حيث قام المعتصم بنقل صناع الخزف في المدينة إلى سامراء^(٣٦).
يتضح من خريطة (٤) إن صناعة الفخار تقع على نهر بلال في وسط البصرة والسوق الكبير وسوق المريد الذي يقع بالقرب من شبه الجزيرة العربية.

٦. صناعة الزجاج:

تعد صناعة الزجاج من الصناعات المحلية التي تطورت في مدينة البصرة تطوراً كبيراً وقد اعتمدت بالدرجة الأساس على الصخور الرملية التي كانت تستخرج من باطن الأرض حيث قام البصريون بزيادة نسبة الرمل في صناعة الزجاج فصار إنتاجهم من هذه المادة أقوى من الزجاج الروماني^(٣٧).

أشارت الروايات التاريخية إلى وجود صناعة الزجاج في مدينة البصرة وقد كانت تنتج الأقداح والأواني والكؤوس والقناديل^(٣٧) واستعمل الزجاج المنقوش بصورة فنية متميزة للشبابيك ورسمت على الأقداح صور للحيوانات وصور بشرية ومناظر صيد وقد امتدت شهرة الزجاج البصري إلى درجة كبيرة حيث كان يصدر إلى البعض المناطق المجاورة حيث زيد جامع القيروان بقطع من الزجاج البصري المزين بالنقوش على جدران الكعبة الشريفة واشتهرت بلدة الدير في البصرة بصناعة مختلف أنواع الغظائر التي كانت تصدر إلى المدن المجاورة^(٣٩).

يتضح من خريطة (٤) إن صناعة الزجاج تتركز بالقرب من نهر المعقل ولتجمع مخلفات هذه الصناعة في المنطقة المجاورة للنهر من الغرب فقد أطلق عليها بمنطقة الكزبرة.

٧. الصناعات المعدنية:

اعتمدت الصناعات المعدنية في مدينة البصرة على العديد من المعادن كالفضة والذهب والحديد والنحاس وغيرها وقد توفرت مناجمها في مناطق متعددة في الدولة العربية الإسلامية حيث إن الفضة كان يتم الحصول عليها من اللؤلؤ المستخرج من الخليج العربي في السواحل القريبة من مدينة البصرة^(٤٠) وفي مدن وأقاليم دخلت فيما بعد ضمن حضيرة هذه الدولة حيث كانت مناجم الفضة متوفرة في المشرق في كل من أصفهان وفارس وفرغانة وطبرية ومناجم الذهب في أفغانستان وفارس وطبرستان وفرغانة وجنوب مصر وجزيرة مدغشقر وسواحل شرق إفريقيا.

دخل معدنا الذهب والفضة في صناعات ضرب النقود في مدينة البصرة بعد أن أقدم الملك الأموي عبد الملك بن مروان على تعريب النقود عام (٧٤هـ، ٦٩٣م) وجعلها طرازاً عربياً إسلامياً خالصاً حيث كان الذهب يمثل العملة الرئيسة المستخدمة في التبادل التجاري ويستعمل للحصول على السلع من الشرق الأقصى والهند كما دخل الذهب في صناعة الحلبي والمجوهرات^(٤١).

إستورد معدن الحديد من الهند وأذربيجان وأرمينيا ولبنان، ودخل في صناعات عدة مثل السكاكين والنشاب والسلاسل^(٤٢) والأبواب الحديدية كالأبراج والقلاع وأسوار حماية المدن^(٤٣).

أما النحاس فقد دخل في صناعة العملة النقدية والأواني التي اشتهرت بها مدينة البصرة وصنع الصفارون القدور النحاسية بإحجام مختلفة فضلاً عن الأواني المنزلية والأبواب والقناديل وتفنن البصريون في صناعتهم فعملوا على حافات الأواني نقوشاً ظاهرة صلبة^(٤٤).

يتضح من خريطة (٤) أن الصناعات المعدنية تقع بالقرب من الأنهار كنهر بلال ونهر ابن عمر الذي يقع في الجزء الشمالي لمدينة البصرة.

٨. صناعات أخرى:

من الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها مدينة البصرة صناعة القير حيث تتوفر حقوله قرب الموصل (عند القيارة) وفي هيت^(٤٥)، دخل القير المصنع في المدينة في تقيير السفن والحمامات وسطوح الدور السكنية وأحياناً يوضع كأساس للبناء وقد أعفيت صناعة القير والنفط والزئبق التي ظهرت في المدينة من الزكاة تشجيعاً للصناع في استخراجها^(٤٦).

يتضح من خريطة (٤) إن صناعة القير تقع بالقرب من ميناء الأبله وعلى نهر الأساورة الذي يصب في نهر دجلة العوراء.

الخلاصة والاستنتاجات:

نشأت صناعات مدينة البصرة وتطورت بفضل العوامل الجغرافية منها الموقع الجغرافي على رأس الخليج العربي الذي يربطها ببلدان العالم الخارجي كإندونيسيا والصين وشرق إفريقيا ومن ثم تنشيط عمليات الاستيراد والتصدير حيث إن انحدار السطح باتجاه الجنوب ساعد على جريان الأنهار نحو الخليج العربي لذلك أدت دوراً كبيراً في عمليات نقل منتجات الصناعات في المدينة.

كان للأيدي العاملة أثر كبير في تطور الصناعات إذ تزايدت أعدادهم من جراء الفتوحات العربية نتيجة لكثرة الغنائم التي حصلوا عليها في المدينة وقد جاءوا من شبه الجزيرة العربية والأقاليم والمجاورة كإقليم فارس وزاولوا أنواع مختلفة من الصناعات في المدينة.

اعتمدت الصناعات في البصرة على العديد من المواد الأولية منها الصوف والوبر المستورد من شبه الجزيرة العربية عن طريق سوق المربد والأخشاب المستوردة من الهند كالساج والعاج والحديد والنحاس المستورد من أرمينيا ولبنان إذ إن توفر طرق وسائل النقل ساعد على سهولة إيصال المواد الأولية إلى المدينة كسكة بني سمرة التي تربط مركز المدينة (سوق باب الجامع) بالسوق الكبير الذي يرتبط بالخليج العربي عن طريق ميناء الكلاء.

أدت الأسواق دوراً كبيراً في تطوير الصناعات في المدينة منها سوق المربد الذي تباع فيه المنسوجات والأباريق والغطائر والسوق الكبير الذي كان يمثل مركزاً للصيرفة وسوق الكلاء الذي يعد المركز الرئيس لتصدير منتجات المدينة إلى الأقاليم الخارجية لارتباطه بالخليج العربي فضلاً عن سوق باب الجامع الذي يمثل مركز المدينة.

إن أبرز الصناعات في مدينة البصرة هي صناعة الأسلحة كالرماح والنبال والأقواس والسهام والسيوف والدروع والطبر والفاس والخنجر تركزت في مينائي الأبله والكلاء، واشتهرت المدينة بصناعة المنسوجات يأتي في مقدمتها صناعة

الحز والبز والعمائم والفوط والتي دخلت فيها عمليات التطريز والنقش بالذهب والفضة، فضلاً عن صناعة المنسوجات الحريرية والملابس المخيطة الجاهزة والأنسجة الكتانية الرقيقة والبسط والخيام والستائر التي كانت تعلق على الحيطان حيث استخدمت في تزيين جدران الكعبة الشريفة، تركزت هذه الصناعات في ميناء الكلاء والسوق الكبير على نهر معقل لحاجتها إلى المياه الوفيرة ولتصدير منتجاتها إلى الخارج.

ظهرت في البصرة صناعات خشبية عدة منها الكراسي والأبواب والسقوف والأثاث والقوارب، تركزت في الأسواق وظهرت صناعة السفن التي امتازت بتعدد أحجامها وأنواعها كالبغلة التي تصل حمولتها إلى (٢٠٠٠) كيس تمر وصنعت سفن متوسطة الحجم استخدمت في صيد اللؤلؤ من الخليج العرب وصنعت سفن خصصت للأمرء والساطين، تركزت هذه الصناعات في موانئ الابلّة والكلاء وتخصصت المدينة بالصناعات الفخارية كالأواني والكؤوس والحباب استخدمت فيها النقوش واشتهرت بصناعة الخزف الذي كان يصدر إلى مدن العراق والأقاليم الخارجية، تركزت هذه الصناعات بالقرب من نهر بلال والسوق الكبير وسوق المربد.

اشتهرت مدينة البصرة بصناعة الزجاج التي اعتمدت على الصخور الرملية المستخرجة من باطن الأرض منها الأقذاح والأواني والقناديل وزجاج الشبايك والغضائر وركزت هذه الصناعات بالقرب من نهر المعقل، كما ظهر فيها صناعات معدنية كصناعة النقود من الذهب والفضة فضلاً عن صناعة السكاكين والسلاسل والقذور النحاسية والأبواب الحديدية، تركزت بالقرب من الأنهار كنهر بلال وابن عمر. وظهرت في المدينة صناعة القير الذي استخدم في تقيير السفن والحمامات وسطوح المنازل هذه الصناعة بالقرب من ميناء الابلّة ونهر الأساورة.

الهوامش

- (١) أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، تح، نحوه ليدن، ١٩٠٩م، ص١١٧.
- (٢) أبو إسحق إبراهيم بن محمد الاصطخري، المسالك والممالك، تح محمد جابر الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٢٤.
- (٣) إبراهيم علي ديوان، أثر العوامل الجغرافية في تطور العلاقات التجارية لمدينة البصرة مع بلدان الشرق الأقصى وشرق أفريقيا في القرنين الأول والثاني للهجرة. مجلة دراسات تاريخية، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، العدد (٣)، ٢٠٠٧، ص١٢.
- (٤) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤، ص.
- (٥) عواد مجيد الأعظمي وحمدان عبد المجيد الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص٧١.
- (٦) محمد بن حمودة بن محمود، أهمية الخليج العربي في التجارة العالمية خلال الفترة من ٣٣٣ ق.م إلى ٢٢٤م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٥م، ص٨٥.
- (٧) بدر الدين حي الصيني، العلاقة بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.س، ص١١٨.

(٨) صلاح الدين الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى وأثر ذلك في بعض

الجوانب الحضارية في العصور الوسطى، مجلة اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ١٢، ١٩٨٠م،

ص ١٠٧.

(٩) عبد الجبار ناجي، أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة، مجلة الخليج العربي،

مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مج (١٨)، العدد (١-٢)، ١٩٩٦، ص ٦٥.

(١٠) صالح أحمد العلي، خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٤٦.

(١١) قصي الحسين، العصر الأموي - موسوعة الحضارة العربية، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٠٤ -

٢٠٥.

(١٢) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تح صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية،

القاهرة، ١٩٥٦، ص ٤٦٧.

(١٣) محمد جاسم حمادي، ولاية عبد الله بن عامر على البصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، مجلة المؤرخ العربي،

الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد ٢١، بغداد، ١٩٨٢، ص ٧٦.

(١٤) يوسف ناصر العلي، أسواق البصرة في القرن الثالث والرابع للهجرة، مجلة الخليج العربي، كلية الآداب،

جامعة البصرة، العدد ١، ١٩٧٣م، ص ٦٥.

(١٥) إبراهيم علي ديوان، أثر العوامل الجغرافية، م.س، ص ١٨.

(١٦) يوسف ناصر العلي، أسواق البصرة، م.س، ص ٦٨.

(١٧) أحمد بن محمد الهمداني ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، تح دي غويه، مطبعة بريل، لندن، ١٣٠٢م،

ص ١٣١.

(١٨) رباب جبار طاهر السوداني، جبهة البصرة دراسة في أحوالها العسكرية والإدارية والاجتماعية والمالية للفترة

من ١١ - ٤١هـ / ٦٣٢ - ٦٦١م / رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩م، ص ٦٥.

راغب السرجاني، الحياة الاقتصادية في الخلافة الأموية، بحث منشور في الإنترنت على الموقع (19)

، ص ٨. www.historyofbasra.com

(٢٠) عواد مجيد الأعظمي وحمدان عبد المجيد الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي، م.س، ص ٧٦.

(*) الخز: نسيج يصنع من الصوف والبز يصنع من القطن.

(٢١) يوسف ناصر العلي، أسواق البصرة م، س، ص ١٩١.

(٢٢) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة

للطباعة والنشر، ١٩٥٣م، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢٣) أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم، م.س، ص ١٢٨.

(**) الكساء هو اللباس الخارجي أو كل ما يرتدي في العادة فوق الملابس كالعباءة والجبة أو القباء.

(***) المطرف قطعة من النسيج المربع المعلق الطرفين ينتهي طرفاه بحاشية متميزة أو ثوب مربع.

(****) الريطة ملاءة واسعة رقيقة النسيج تلتحف بها النساء عند الخروج من المنزل.

المصدر: حميد عبد العزيز، الفنون الزخرفية، حضارة العراق، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٥٤.

(٢٤) أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم، م.س، ص ١٤٥.

- (٢٥) حمدان عبد الحميد الكبيسي، الحياة الاقتصادية ونظمها في المدن في عهد الازدهار الإسلامي المدنية والحياة المدنية، دار الطباعة، بغداد، ج ٢، ١٩٨٨م، ص ١٧٩.
- (٢٦) فاضل غزاري الجعفي، الأوضاع الاقتصادية في العراق في عصر المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٦١م) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٧م، ص ١٦٣ - ١٦٤.
- (٢٧) عواد مجيد الأعظمي وحمدان عبد المجيد الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي م.س، ص ٧٢.
- (٢٨) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري مطبعة دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤، ص ٥٩.
- (٢٩) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، م.س، ص ٢٢١.
- (٣٠) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، م.س، ص ١٣١.
- (٣١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ج ٤، ١٩٦٦، ص ١٤٨.
- (٣٢) صلاح الدين الشامي، العلاقات التجارية، م.س، ص ١٠١ - ١٠٢.
- (٣٣) محمد بن حموده بن محمود، أهمية الخليج العربي، م.س، ص ١٠٢.
- (٣٤) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، م.س، ص ٢٤٦.
- (٣٥) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق، م.س، ص ٩٨.
- (٣٦) فاضل غزاري الجعفي، الأوضاع الاقتصادية، م.س، ص ٩٥.
- (٣٧) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، كتاب البلدان، مطبع بريل، ١٨٩م، ص ٢٠٥.

(٣٨) أبو عمر بن بحر الجاحظ، البخلاء، تح أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج ٢،
١٩٣٨، ص ٢١.

(٣٩) محمد بن أحمد الأندلسي ابن جبير، رحلة بن جبير، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٦.

(٤٠) دالمون الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة، هاشم صالح التكريتي، مطبعة التعليم العالي،
البصرة، ج ٢، ١٩٨٩م، ص ١١٥.

(٤١) علي حسني الخربوطلي، العراق في ظل الحكم الأموي، القاهرة، ١٩٥٥، ٩٣.

(٤٢) فاضل غزاري الجعفي، الأوضاع الاقتصادية، م.س، ص ٩٩.

(٤٣) عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن، م.س، ص ١٩٥.

(٤٤) عبد العزيز حميد، الفنون الزخرفية، م.س، ص ٢٥٨.

(٤٥) دالمون الكسندر، ولاية البصرة، م.س، ص ١٢٢.

(٤٦) عواد مجيد الأعظمي وحمدان عبد المجيد الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد، م.س، ص ٩٠.

أولاً: المصادر:

(١) الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد، (ت ٣٤٨هـ)، المسالك والممالك، تح محمد جابر الحسيني، مطابع
دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تح صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
١٩٥٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ج ٤، ،
١٩٦٦، ص ١٤٨.

(٤) ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي، (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، القاهرة، ١٩٥٥.

(٥) ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، تح دي غويه، مطبعة بريل، لندن، ١٣٠٢م.

(٦) الجاحظ، أبو عمر بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، البخلاء، تح أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب المصرية،
القاهرة، ج ٢، ١٩٣٨.

(٧) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، (ت ٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، تح،
نحويه ليدن، ١٩٠٩م.

(٨) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ١٨٩١م.

ثانياً: المراجع

(١) أبو خليل، شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط ١، مطبعة دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥.

(٢) الأعظمي، عواد مجيد وحمدان عبد المجيد الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، مطبعة
التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.

(٣) الحسو، أحمد عبد الله، الصناعة في العراق منذ القرن الأول الهجري حتى القرن السابع الهجري، العراق في
موكب الحضارة والأصالة، دار الحرية للطباعة، ج ٢، ١٩٨٨م.

(٤) حميد عبد العزيز، الفنون الزخرفية، حضارة العراق، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٩.

(٥) الحسين، قصي، ، العصر الأموي - موسوعة الحضارة العربية، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٤.

- (٦) الخربوطلي، علي حسني، العراق في ظل الحكم الأموي، القاهرة، ١٩٥٥.
- (٧) الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري مطبعة دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤.
- (٨) الصيني، بدر الدين حي، العلاقة بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.س.
- (٩) العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٥٣ م.
- (١٠) العلي، صالح أحمد العلي، خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦.
- (١١) الكاتب، محمد طارق، شط العرب وشط البصرة والتاريخ، ط٢، مصلحة موانئ البصرة، ١٩٧١ م.
- (١٢) الكبيسي، حمدان عبد الحميد، الحياة الاقتصادية ونظمها في المدن في عهد الازدهار الإسلامي المدنية والحياة المدنية، دار الطباعة، بغداد، ج٢، ١٩٨٨ م.
- (١٣) الكسندر، دالمون، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة، هاشم صالح التكريتي، مطبعة التعليم العالي، البصرة، ج٢، ١٩٨٩ م.
- (١٤) ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، جامعة البصرة، ١٩٨٦ م.

ثالثاً: الدوريات

- (١) حمادي، محمد جاسم، ولاية عبد الله بن عامر على البصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد ٢١، بغداد، ١٩٨٢ م.

(٢) ديوان، إبراهيم علي، أثر العوامل الجغرافية في تطور العلاقات التجارية لمدينة البصرة مع بلدان الشرق الأقصى

وشرق إفريقيا في القرنين الأول والثاني للهجرة. مجلة دراسات تاريخية، كلية الدراسات التاريخية، جامعة

البصرة، العدد (٣)، ٢٠٠٧.

(٣) السرجاني، راغب، الحياة الاقتصادية في الخلافة الأموية، بحث منشور في الإنترنت على الموقع

www.historyofBasra.com

(٤) الشامي، صلاح الدين، العلاقات التاريخية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى وأثر ذلك في بعض

الجوانب الحضارية في العصور الوسطى، مجلة اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ١٢، ١٩٨٠م.

(٥) العلي، يوسف ناصر، أسواق البصرة في القرن الثالث والرابع للهجرة، مجلة الخليج العربي، كلية الآداب، جامعة

البصرة، العدد ١، ١٩٧٣م.

رابعاً: الرسائل العلمية

(١) بن محمود، محمد بن حمودة، أهمية الخليج العربي في التجارة العالمية خلال الفترة من ٣٣٣ ق.م إلى ٢٢٤م،

رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٥م.

(٢) الجعفي، فاضل غزاري، الأوضاع الاقتصادية في العراق في عصر المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ -

٨٦١م) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

(٣) السوداني، رباب جبار طاهر، جبهة البصرة دراسة في أحوالها العسكرية والإدارية والاجتماعية والمالية للفترة من

١١ - ٤١هـ / ٦٣٢ - ٦٦١م / رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩م.